الباب السادس

هل يمكن أن نختار جنس أبنائنا (ولد أو بنت) قبل بدء الإنجاب ؟

تمهيد : شغلت فكرة التحكم فى نوع الجنس تفكير الكثير من المهتمين بهذا المجال منذ زمن بعيد .

فظهرت آراء ونظريات مختلفة تحاول تفسير كيفية تحديد الجنس ومحاولة التحكم فى هذه الكيفية .

وإن كانت هذه الآراء لا تعتمد على دليل علمى صحيح ، إلّا أن عرض هذه الآراء ومناقشتها قد يلقى الضوء على هذا الموضوع أمام الكثير من القراء ، كما يوضح كيفية اختلاف الرؤية العلمية بين ـــ الأمس واليوم ـــ من أجل الوصول إلى الحقيقة .

فآراء الماضى قد تبدو طريفة أمام ماأكده العلم الحديث من حقائق .

ومن يدرى .. فربما ينكر أبناء الغد بعض ماتوصلنا إليه اليوم ، لكنها مسيرة العلم التى تحتمل الخطأ وتحتمل الصواب !!

فهناك نظرية تقول : إن الزوج (الذكر) ليس له القدرة على تحديد الجنس وإن هذا التحديد يتوقف على الزوجة (الأنثى) .

فقد افترض صاحبها أن المبيض هو الذى يحدد نوع الجنس ، حيث تخرج منه البويضات محددة بنوع الجنس قبل تلقيحها ، وأن المبيض الأيمن يخرج بويضات خاصة بإنجاب الذكور والمبيض الأيسر يخرج بويضات خاصة بإنجاب الإناث . وهذا بالتأكيد ليس له أى دليل

علمى ، ولكنه بنى هذا الافتراض على مجرد ملاحظاته التى اعتمد فيها على أن الأنثى أضعف من الذكر لذلك فهى تأتى من الجزء الأيسر من الجسم والذى هو أضعف من الجزء الأيمن .

وقد تم تدوين ملاحظة حالة المبيضين أثناء فترة الحمل من خلال بعض العمليات الجراحية اللازم إجراؤها على أساس تحديد المبيض الذى يحتوى على الجسم الأصفر وبذلك يكون هذا المبيض هو الذى خرجت منه البويضة الخاصة بهذا الحمل ، لمعرفة ما إذا كان جنس المولود يختلف باختلاف المبيض أم لا ، وقد وجد أنه ليس هناك أى اختلاف وأن مواليد الذكور والإناث تأتى من كلا المبيضين .

ومما يثبت أيضا خطأ النظرية السابقة أن النساء اللاتى يتم لهن استئصال أحد المبيضين ـــ لأسباب جراحية ـــ ينجبن بالفعل أطفالاً من كلا الجنسين .

نظرية ثانية :

وهناك نظرية أخرى لنفس صاحب النظرية السابقة تعتمد على حالة «وضع» الأنثى بعد الاتصال الجنسى مباشرة حيث يرى صاحبها أن نوم الأنثى على جانبها الأيمن بعد الاتصال الجنسى يجعل المولود ذكراً وأن الإناث يأتين إذا نامت على جانبها الأيسر ، وهذا أيضا بالتأكيد من الافتراضات التى ليس لها أى دليل علمى ، وإن كانت سائدة فى الماضى إلى حدّ كبير . وقد بنى صاحب هذا الافتراض رأيه على أساس أن فتحة قناة فالوب اليمنى أدنى من فتحة قناة فالوب اليسرى ،وهكذا ، فالنوم على الجانب الأيمن يسهل دخول الحيوان المنوى إليها ، وهذا يبدو بالتأكيد غير صحيح حيث إننا لا نستطيع أن نحدد جهة المبيض الذى خرجت منه البويضة ، حتى أن عملية الإبياض فى حد ذاتها

تحدث دون أن تدرى عنها الزوجة شيئاً ، كما أن للحيوان المنوى ـــ كما ذكرنا ـ قدرة كبيرة على تحديد مكان البويضة وأن المسألة لا تخضع لقوة الجاذبية .

كذلك من المعتقدات التى كانت شائعة فى الماضى حول عملية تحديد الجنس ، اعتقاد يقول : إن عامل السن هو الذى يحدد جنس المولود ، أى أنه إذا كان الزوج هو الأكبر سناً يتأتى معظم الأبناء من نفس نوع جنسه وإذا كان هو الأصغر سناً يأتى معظم الأبناء عكس نوع جنسه .

آراء أخـرى :

كذلك اعتقد البعض أن قلة حدوث الاتصال الجنسى يؤدى إلى إنجاب الإناث بينما اعتقد البعض أنه يؤدى إلى إنجاب الذكور .

وأيضا من المعتقدات التى كانت شائعة فى الماضى بدرجة كبيرة أن الوصول إلى قمة الإثارة الجنسية أو ما يسمى برجفة الخلاص (orgasm) فى النساء له دور هام فى تحديد الجنس . فإذا بلغت المرأة قمة الإثارة أثناء الاتصال الجنسى يكون الأبناء من الذكور بينما غياب هذه الرجفة ينتج عنه أبناء من الإناث ، وقد كان تعليل هذا الرأى يقول : إن وصول المرأة لهذه الرجفة ينتج عنه إفرازات مهبلية كثيفة تؤثر حالة وجودها على تحديد جنس المولود وقد يكون هذا صحيحاً من ناحية زيادة كمية الإفرازات مع زيادة الإثارة الجنسية ، إلّا أنه ليس هناك أى علاقة بين هذه الإفرازات وبين جنس المولود ، بدليل أن بعض النساء لا تحدث لهن مثل هذه الاثارة وما يصاحبها من كمية كبيرة من الإفرازات ، مع أن معظم أبنائهن من الذكور والإناث .

وقفــة علمية :

مما سبق يتضح لنا أن هذه الآراء بعيدة إلى حد كبير عما أكدته الحقيقة العلمية من أن الحيوان المنوى هو الذى يحدد نوع الجنس ، حيث يوجد منه نوعان : يحتوى أحدهما على (X) كروموسوم ويحتوى الآخر على (Y) كروموسوم فإذا حدث تلقيح للبويضة ، التى تحتوى دائماً على (X) كروموسومات ، بحيوان منوى يحتوى على (X) كروموسوم تتكون الأنثى ، أما إذا قام بالتلقيح حيوان منوى يحتوى على (Y) كروموسوم يتكون الذكر .

وقد أثارت هذه الفكرة ، أى فكرة وجود نوعين من الحيوانات المنوية ، يختص أحدهما بولادة الذكور ويختص الآخر بولادة الإناث ، ووجود اختلاف فى شكل الرأس بين كليهما ، فكرة إمكانية التحكم فى تحديد الجنس عند كثير من العلماء .

فقد اقترح أحد العلماء أنه نتيجة للاختلاف فى الشكل بين الاثنين فقد يكون من الممكن الفصل بينهما بطريقة ما كطريقة « قوة الطرد المركزية » (centrifugal Force) ، ثم إحداث عملية إمناء صناعى (artificial insemination) وبهذه الطريقة يمكننا التحكم فى تحديد جنس المولود ، أى أننا إذا كنا نريد مولوداً ذكراً نُحدث الإلقاح بالحيوان المنوى المختص بولادة الذكور والعكس صحيح .

وهى فكرة ذكية للغاية ، إلّا أنه لم يتم تطبيقها من الناحية العملية بنجاح ، قد يكون ذلك لصعوبة الفصل بين الاثنين .

وقد اقترح نفس العالم دراسة معدل سرعة كلا النوعين من الحيوانات المنوية وهى تسبح خلال السائل المنوى فقد يمكننا الاستفادة من ذلك فى التحكم فى وصول أحد النوعين للبويضة قبل الآخر .

وقد لقت هذه الفكرة رواجاً كبيراً إلّا أنها أيضا لم تطبق عملاً بنجاح .

وفى الحقيقة أن فكرة الفصل بين الحيوانات المنوية أو التحكم فى أحد الأنواع ، لتحديد الجنس قد تكون فكرة منطقية إلّا أنها تمثل صعوبة بالغة من الناحية العملية ، إلا أننا نستطيع من الناحية العملية ، أن نحدث تغييراً فى الحالة الكيميائية للمهبل بحيث تتكيف مع حياة أحد النوعين ، بينما تحد أو توقف من نشاط الآخر .

وقد استنبطت هذه الفكرة ـــ منذ عدة سنوات ـــ فى أثناء علاج العقم فى الماشية فى أحد المدن الألمانية عن طريق غسول المهبل لدى هذه الحيوانات بمادة بيكربونات الصوديوم والتى تغير الوسط الكيميائى للمهبل ، وقد حققت هذه الطريقة نجاحاً كبيراً فى إزالة هذا العقم . مما أدى إلى استخدامها كوسيلة لعلاج العقم عند بعض النساء ، وقد لوحظ أن معظم المواليد ـــ بعد نجاح هذه الطريقة فى إزالة العقم ـــ هم من الذكور ، وقد كان لهذه الملاحظة صدى كبير لدى العلماء .

فقد فسر بعضهم أولًا أن حدوث العقم كان نتيجة لزيادة الوسط الحامضى للمهبل والذى يتسبب فى قتل الحيوانات المنوية ، ولما تم تغيير هذا الوسط باستخدام مادة بيكربونات الصوديوم ـــ القلوية الخاصية ـــ حدث الإنجاب .

ومن ناحية أخرى إن تغيير هذا الوسط الزائد فى درجة الحموضة يؤدى إلى جانب المحافظة على حياة الحيوانات المنوية إلى انتعاش الحيوانات المنوية الخاصة بإنجاب الذكور عن النوع الآخر بإنجاب الإناث .

لتحقق بالتجربة من هذه الملاحظة :

*وقد بدأ هذا العالم Unterberger بناء على هذه الملاحظة إجراء عدة تجارب على عدد كبير من النساء للتحقق من صحتها ، وقد كانت النتائج مرضية للغاية .

ففى إحدى التجارب التى أجراها على ٧٤ امرأة ممن ينجبن إناثاً ، وجد أنه بعد معالجة المهبل فيهن بمادة بيكربونات الصوديوم قبل اللقاء الجنسى ، حدث إنجاب ملحوظ للذكور .

وأيضا من خلال تطبيقه لهذه الطريقة على الأرانب كانت نسبة الذكور إلى نسبة الإناث حوالى ١٤٢ إلى ٦٥ .

*وقد قام عالم آخر بدراسة هذه الظاهرة بطريقة مختلفة ، فقام بتدوين نوعية الوسط الكيميائى لإفرازات المهبل فى حوالى ٢٠٠ سيدة دون إحداث تغيير لهذا الوسط . فوجد أن الوسط الكيميائى الزائد فى درجة الحموضة يصاحبه زيادة فى إنجاب الإناث عن إنجاب الذكور ، بينما الوسط القليل الحموضة أو القلوى يصاحبه زيادة فى إنجاب الذكور عن الإناث ، وقد كان التفسير الطبيعى لهذه الظاهرة هو نفس ماتوصل إليه العالم السابق من أن الحيوانات المنوية المختصة بإنجاب الإناث تفضل الوسط الحامضى بينما الحيوانات المنوية الخاصة بإنجاب الذكور تفضل الوسط القلوى ، ربما يكون ذلك لسرعة وصول الحيوانات المنوية المختصة بإنجاب الإناث إلى البويضة الملقحة خلال الوسط الحامضى .بينما تزيد سرعة وصول الحيوانات المنوية المختصة بإنجاب الذكور خلال الوسط القلوى . وأيًّا كان تفسير هذه الظاهرة فإن التجارب التى أجريت لإثبات صحتها كانت ناجحة إلى درجة كبيرة وفى عدد كبير من البلدان .

★ففى إحدى المدن الألمانية قام عالم آخر Dr. Paul Weill بالتحقق مرة ثانية من هذه الملاحظة ، فعلى مدى ١٠ سنوات قام بعلاج العقم فى حوالى ١٥٠ سيدة عن طريق معالجة المهبل بمادة بيكربونات الصوديوم وقد نجح فى إزالة العقم فى حوالى ٧٥ سيدة باستخدام هذه الطريقة وكان المواليد من الذكور فى معظم الحالات .

★كما أثبت أحد العلماء الروس (Itzkin) صحة هذه الظاهرة بطريقة غير مباشرة من خلال أبحاثه التى أجراها فى مجال تحديد نوع الجنس (قبل هذه الفترة من الزمن) ، فذكر هذا العالم أن العوامل التى تحدد الجنس هى سن المرأة المنجبة ، وعدد الولادات السابقة لها ، وظروف الحمل ، فقد وجد أن معظم النساء كبيريات السن ينجبن ذكوراً وهذا تدعيم آخر لهذه الظاهرة حيث تقل نسبة الحموضة فى النساء عند اقترابهن من سن اليأس ، وكما وجد أيضا أن إنجاب الذكور يكثر مع النساء اللاتى سبق لهن الإنجاب عدة مرات من قبل ، وتفسير هذه الملاحظة الأخيرة قد يكون لأنه مع كثرة الإنجاب تحدث تشققات صغيرة فى عنق الرحم والتى تكون مصدراً للالتهابات المزمنة مما يسمح لوصول البكتريا إليها وازدهارها فى هذا المكان ، حيث يبدأ تغيير فى الوسط الكيميائى للمهبل وتحوله من الوسط الحامضى إلى الوسط القلوى .

كما أبدى هذا العالم ملاحظة أخرى تؤكد هذا الرأى ، فقد لاحظ أن حمل الذكور يكثر إذا حدث الحمل فى منتصف الدورة الشهرية حيث تقل درجة الحموضة بينما يكثر حمل الإناث فى الفترة القريبة من نهايتها حيث تزداد درجة الحموضة .

وهذا قد يكون تفسيراً علمياً للاعتقاد الذى ظل شائعاً لفترة طويلة

وهو أن حمل الإناث يحدث قبل بداية الدورة بقليل وبعدها ، وأن حمل الذكور يحدث خلال منتصف الدورة .

فإذا قارنا هذا الاعتقاد الشائع بين بعض الناس بالتغير الذى يحدث فى الوسط الحامضى لإفرازات المهبل نجد أن هذا الرأى العام قد يكون له قدر كبير من الصحة .

ومن الملاحظات الطريفة التى تدعم هذا الرأى أيضا هى أنه أثناء فترات الحرب وعودة المحاربين إلى أوطانهم فى فترة الأجازات يحدث تزاوج بينهم وبين نسائهم فى فترة واحدة من الزمان ، وقد وجد أن حدوث هذا الاتصال الجنسى فى أوائل وأواخر الدورة حيث يكون درجة الحموضة عاليةً نسبياً أدى إلى إنجاب معظم الذكور بينما أدى حدوث الاتصال الجنسى فى منتصف الدورة حيث تزداد درجة الحموضة ، إلى إنجاب معظم الإناث .

وهذه من الملاحظات الطريفة التى تدعم فكرة تأثير الوسط الكيميائى للمهبل فى تحديد نوع الجنس والتى قام بتتبعها بعض الدارسين لهذه الظاهرة .

وهناك اعتقاد شعبى آخر كان سائداً بين الناس فى الماضى ، وهو أن المرأة الأكثر نشاطاً فى الوصول إلى « رجفة الخلاص » (orgasm) تحدث جنيناً عكس جنسها ، وقد يكون لهذا الاعتقاد أساس علمى ، فالتأثر الجنسى الشديد للمرأة يصاحبه إخراج كمية كبيرة من الإفرازات المهبلية التى لها خاصية قلوية تعادل بها الخاصية الحامضية للمهبل وبذلك تبدأ الحيوانات المنوية المختصة بإنجاب الذكور فى الانتعاش على حساب الحيوانات المنوية الأخرى والخاصة بإنجاب الإناث .

وقد دفع هذا الاعتقاد بعض المهتمين بدراسة تحديد الجنس إلى تتبع ماكان يحدث فى بعض الحروب حيث يقوم الجنود المنتصرون باغتصاب نساء العدو ، بعد قتلهم لأزواجهن وضمهن أزواجاً لهم بالقوة .

وقد كانت نتيجة هذا الاتصال الجنسى المبنى على القوة مؤيداً لهذا الاعتقاد السابق ، حيث كانت نسبة مواليد الإناث إلى الذكور ٤٠٣ إلى ٧٩ ، ويرجع السبب فى ذلك إلى فقدان المرأة متعة الاتصال الجنسى المحرّم والمقرون بالقوة ، حيث قلت كمية الافرازات المصاحبة لهذا الاتصال مما أدى إلى انتعاش الحيوانات المنوية المختصة بإنجاب الإناث عن الحيوانات المنوية المختصة بإنجاب الذكور ، نتيجة لحموضة المهبل التى لم يعادلها مايفرزه باقى الغدد من إفرازات قلوية فى أثناء فترة الجماع .

وهكذا ، وبعد عرض ماتقدم ، نقترب من حقيقة علمية ـــ مؤكدة ـــ وهى أن زيادة الخاصية الحامضية للمهبل ضارة بكل الحيوانات المنوية وقد تتسبب فى قتلها جميعاً مما يؤدى إلى عدم حدوث حمل ، أما إذا تم التحكم فى هذه الزيادة وتحويل الوسط الكيميائى للمهبل إلى وسط معتدل فى درجة الحموضة أو مائل للقلوية فقد يحدث حمل إذا كانت باقى الأسباب التى تُحدث العقم غير موجودة كانسداد قنوات فالوب أو عدم حدوث إبياض إلى آخره ..

كذلك يتضح لنا حقيقة أخرى تكاد تكون صحيحة تماماً وهى أن الخاصية الكيميائية للمهبل المعتدلة فى درجة الحموضة أو القريبة من الدرجة القلوية ، كما تساعد على حدوث الحمل ، فهى أيضا قد تساعد على انتعاش الحيوانات المنوية الخاصة بإنجاب الذكور عن الحيوانات

المتوية الخاصة بإنجاب الإناث .

هكذا من خلال هذه المعلومة والتى أكدها كثير من التجارب والملاحظات بنسبة كبيرة ، يستطيع الآباء أن يشاركوا بقدر معين فى اختيار أبنائهم ، مادامت تشير الشواهد إلى وجود فرصة لذلك .

كما أعتقد أن هذه الوسيلة قد تحيى الأمل من جديد فى نفوس الآباء الذين يتكرر إنجابهم لجنس واحد سواء من الذكور أو من الإناث ، فلا مانع الآن من محاولة هذه الطريقة البسيطة .

فكل ما يجب أن تقوم به الزوجة هى أن تحدد أولًا الفترة من الدورة الشهرية التى يحدث خلالها الحمل عن طريق تحديد ميعاد الإبياض .. كما ذكرنا ، ثم تقوم بعمل فحص للإفرازات المهبلية خلال هذه الفترة وتحديد خاصيتها الكيميائية (التفاعل) ، وذلك لدى المختصين ، ثم التحكم فى هذه الخاصية على ضوء ما تشير إليه نتيجة الفحص ، وذلك عن طريق إضافة المواد الموضعية المناسبة قبل اللقاء الجنسى ، إما بالغسول — بواسطة الدش المهبلى — بمادة «**بيكربونات الصوديوم**» إذا أرادت تغيير الوسط إلى «**وسط قلوى**» يساعد على إنجاب الذكور ، أو بالغسول بمادة **حامض اللكتيك** (المخفف) إذا أرادت تغيير الوسط إلى وسط حامضى يساعد على إنجاب الإناث ، ويمكن إيجاد هذه المواد المستخدمة أيضاً ضمن تركيب بعض المستحضرات الطبية الخاصة بالغسول المهبلى .

وقد يتعذر على بعض النساء تقدير الفترة التى يحدث خلالها الحمل ، نتيجة لعدم انتظام الدورات الشهرية ، وهى فى ذلك يمكنها استخدام «**الدش المهبلى**» و «**الغسول**» قبل كل لقاء جنسى ، ومن المؤكد انها ستلقى اهتماماً أكثر فى بعض هذه المرّات .

كلمة أخيرة حول هذا الموضوع

تعتبر هذه الوسيلة : أولًا وأخيراً ــ إحدى وسائل العقل البشرى الذى يصبو دائماً إلى معرفة الحقيقة وتحقيق طموحه وآماله ، وإن كانت هذه الحقيقة وهذه الآمال هى فى سجلٍ محفوظ لا يعلم مداها إلّا الله عز وجل .

وقد يكون فى قصة «مريم» دليل قاطع على نفاذ قدرة الله ــ عز وجل ــ خارج كل حدود العقل البشرى بما يحويه من مفاهيم وحقائق أكيدة لديه ، والتى تهدم فى لحظة كل ما توصلنا إليه من نظريات حول موضوع الإنجاب والتناسل ، حيث تخاطب «مريم» ربها قائلة : ﴿**رَبِّ أَنَّى يكونُ لى ولدٌ ولمْ يَمْسَسْنى بَشَرٌ**﴾

(آل عمران ــ الآية ٤٧)

لكنها إرادة الله الذى يخلق ما يشاء ، والذى تتجلى معرفته فوق كل ما نؤمن ونتوقع ونحلم به من أشياء .